أن نكتب بشجاعة وصدق

عبد الرحمن مجيد الربيعي

ان الظاهرة الأولى التي يؤشر بها الأدب العربي في معظم أقطاره هي في كونه أدباً مستلباً، الجيد فيه مقموع ومخبأ، ولا يرى النور الا نادراً، وهناك جانب اخر يتمثل في الأدب السلطوي الذي يمجد النظام الذي ينتمي اليه الكاتب إما خوفاً أو مداراة لوضعه المعيشي. أما القناعة التامة فلا تتوفر الا لدى القلائل ممن يحملون أفكاراً ثورية فعلاً ويجدون في بعض الأنظمة الممثّل والمجسد لهذه الأفكار.

وأدب هذا وضعه، وأديب هذه حالته لا يمكنها أن يؤديا مهمتها القيادية على أتمها، مضافاً الى كل ذلك القمع اليومي، أو ما أسميه بالكبت العربي الذي نجم عن انعدام الديمقراطية وحرية التعبير وسقوط الكتاب في فخ المحرمات العربية.

ومن هنا فإنني أعتقد أن المطالب ــ بفتح اللام ــ بالمراجعة ليس الكتاب، وانما بعض الأنظمة لأنها قادتنا الى الوضع الذي نحن عليه الآن، فأفكار جل الكتاب العرب هي أفكار مضيئة وتقدمية، وكانت دوماً منارات في الليالي المدلهمة التي عاشتها هذه الأمة في صراعها الطويل ضد أعدائها، ولكن صدور بعض الأنظمة اتضيق بها، ولا تسمح لها بالظهور والتفتح. انها عامل رعب وخوف بالنسبة لها، ولذلك تعمل المستحيل من أجل خنقها او الإجهاز عليها.

وقد عرفت السجون العربية ــ وما اكثرها! ــ من الأدباء والفنانين اكثر مما عرفت من القتلة والزناة واللصوص.

هكذا أرى الأمر.. وأعود وأضيف بأن الهزيمة لم تلحق بالأمة العربية ــ كما ورد في السؤال ــ ولكن بالأنظمة العربية. لأن الأمة العربية لم تقر بهذه الهزيمة، ولم تشارك في صنعها، كما ان الشعب العربي كتاباًوأفراداً لم يمنح فرصته الكاملة في الرد. وكل هذا نتيجة وضعه المستلب ــ بفتح اللام ــ الذي أشرت اليه في البداية.

أما كيف أرى الثقافة العربية الجديدة، والدور الذي ينبغي أن تضطلع به، فأنا أرى أن على عاتق هذه الثقافة مهمة مزدوجة، أولاً في أن تكون ثقافة حية ومتطورة لا تنتمي الى ثقافة البلاطات البائدة، والموائد العامرة بالتخمة والثمالة. أن تكون ثقافة شعب وصوت شعب لا ثقافة وصوت أنظمة وحكام. فهذا طريق مسدود لم يوقعها الا في المزيد من المخاطر والمهالك، وهو الذي سرق الضوء الجميل من عينيها. وثانياً في أن تكون ثقافة متفائلة. غير محترفة. تؤمن بأن الشعوب تظل حية رغم كل شيء، رغم قساوة الاعداء وهمجيتهم، ومن المؤسف جداً ان الأنعكاس الحاصل اليوم في قلوب آلاف الشبان العرب هو انعكاس انهزامي وسلبي، ولعلهم معذورون فيما هم عليه. بقي على الكتاب أن يزيحوا هذا الشعور وأن يملأوهم بحماسةالبقاء والاستمرار والتحدي.

ولا يأتي هذا سريعاً، أو يحل بكتابة مقالات سياسية عاجلة، بل بكتابة أعمال ابداعية متطورة، غير خائفة، وغير مهادنة، غايتها ايصال الحقيقة للجماهير، فلولا اختفاء هذه الحقيقة، لما تكررت الهزائم، ولما كثر الموهون ــ بكسر الواو ــ من الكتاب الذي يبررون كل شيء ويجدون له المخارج.

أن نكتب بشجاعة وصدق، وأن نكشف وجوه الكذابين والخونة والمتاجرين بالقضية، هذا هو الحل، ومنه البداية، البداية الصعبة والعسيرة، ولكن لا بد من الخطوة الأولى فيها قبل كل شيء.

بغداد (العراق)